



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2026/06/26

تاريخ القبول: 2026/10/26

تظاهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان

Manifestations of the Hegemonic Pattern in Al-Jassasah by Ahmed Hamdan: A Cultural Criticism Study

كريمة ترغيني

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

جامعة محمد خيضر بسكرة، karima.terghini@univ-biskra.dz¹

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف تظاهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان من منظور النقد الثقافي. وتسعى إلى الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة الكامنة في النص الروائي، وتحليل كيفية تجسيد أشكال الهيمنة المختلفة من خلال علاقات القوة والخطابات الفكرية والبنى الاجتماعية. كما تركز الدراسة على تحديد الآليات التي تُمارس بها الهيمنة وتُكرس داخل العالم الروائي، وبيان كيفية التي تتفاعل بها الشخصيات والجماعات مع هذه القوى المهيمنة. وتوصلت الدراسة إلى أن رواية الجساسة تقدم الهيمنة بوصفها نسقًا ثقافيًا متجذرًا يؤثر في تصورات الشخصيات وسلوكياتها وعلاقاتها الاجتماعية، كما كشفت النتائج عن حضور أنماط متعددة من الهيمنة، من بينها الهيمنة الفكرية والاجتماعية والرمزية، إلى جانب إبراز أشكال المقاومة ومواجهة السلطة، وأظهرت الدراسة كذلك أن الرواية تطرح رؤية نقدية عميقة لآليات القوة والسيطرة وتأثيرها في الفرد والمجتمع، مما يجعلها نصًا أدبيًا غنيًا بالدلالات الثقافية والفكرية وقابلًا لقراءات نقدية متعددة.

الكلمات المفتاحية: نسق الهيمنة، النقد الثقافي، الأنساق المضمرة، علاقات القوة، أحمد حمدان، الجساسة.

ABSTRACT: This study aims to explore the manifestations of the hegemonic pattern in *Al-Jassasah* by Ahmed Hamdan through the perspective of cultural criticism. It seeks to uncover the hidden cultural systems embedded within the novel and to examine how various forms of hegemony are represented through power relations, ideological discourses, and social structures. The study focuses on identifying the mechanisms through which dominance is established and maintained, as well as the ways individuals and groups interact with these hegemonic forces within the narrative world.

The study concludes that *Al-Jassasah* presents hegemony as a deeply rooted cultural pattern that shapes characters' perceptions, behaviors, and social interactions. The findings reveal that the novel exposes different manifestations of domination, including ideological, social, and symbolic forms of power, while simultaneously highlighting acts of resistance and challenges to authority. Furthermore, the analysis demonstrates that the novel offers a critical reflection on the dynamics of power and control, making it a rich literary text for cultural and critical inquiry.

Keywords: Hegemony Hegemonic Pattern, Cultural Criticism, Hidden Cultural Patterns, PowRelations, Ahmed Hamdan, *Al-Jassasah*. Hamdan, *Al-Jassasah*.

تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان كريمة ترغيني

1. مقدمة:

يشكل الأدب الروائي فضاءً خصباً للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة التي تتحكم في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، إذ لا يقتصر دوره على تقديم الرواية وتمثيل الواقع، بل يتجاوز ذلك إلى مساءلة البنى الفكرية والاجتماعية التي توطد العلاقات الإنسانية، ومن بين هذه الأنساق يبرز **نسق الهيمنة** بوصفه أحد المفاهيم المركزية في النقد الثقافي، لما ينطوي عليه من آليات للسيطرة وإنتاج السلطة وإعادة تشكيل القيم والتصورات داخل المجتمع، وتكتسب دراسة هذا النسق أهمية خاصة في الرواية المعاصرة التي أصبحت مجالاً رحباً لتجسيد الصراعات الفكرية والثقافية والكشف عن أشكال القوة الظاهرة والمضمرة.

وتعد رواية «الجساسة» لأحمد حمدان من الأعمال الروائية التي تتيح إمكانية قراءة الأنساق الثقافية الكامنة وراء بنيتها الدلالية، حيث تتقاطع فيها علاقات السلطة والخطابات الفكرية مع مواقف الشخصيات وأفعالها، مما يجعلها نصاً جديراً بالدراسة من منظور النقد الثقافي، ومن هذا المنطلق تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تمظهرات نسق الهيمنة في الرواية وتحليل آليات اشتغاله ودلالاته الثقافية.

وانطلاقاً من ذلك تتمثل إشكالية البحث في التساؤل الآتي: كيف تجلّى نسق الهيمنة في رواية «الجساسة» لأحمد حمدان؟ وما أبرز الأنساق الثقافية المضمرة التي أسهمت في تشكيل علاقات القوة والسلطة داخل النص الروائي؟

وتنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من الفرضيات، أهمها:

- أن رواية «الجساسة» تتضمن تمظهرات متعددة لنسق الهيمنة على المستويات الفكرية والاجتماعية والرمزية.
- أن الشخصيات الروائية تؤدي أدواراً مختلفة في تكريس الهيمنة أو مقاومتها.
- أن الخطاب الروائي يكشف عن أنساق ثقافية مضمرة تعكس صراع السلطة داخل المجتمع.

وتهدف الدراسة إلى:

- الكشف عن تمظهرات نسق الهيمنة في الرواية.
- تحليل الأنساق الثقافية المضمرة المرتبطة بعلاقات القوة والسلطة.
- توظيف آليات النقد الثقافي في مقارنة النص الروائي.

أما منهج الدراسة فيعتمد على **المنهج الثقافي** بوصفه إطاراً إجرائياً للكشف عن الأنساق المضمرة وتحليل تمثيلات الهيمنة داخل النص، مع الاستفادة من بعض الآليات التحليلية التي يتيحها النقد الثقافي في قراءة الخطابات والعلاقات السلطوية الكامنة في الرواية.

22. تمظهرات نسق الهيمنة في الرواية

نتناول مفهوم النسق:

يعرف النسق بأنه مجموعة من العناصر المترابطة التي تحكمها علاقات متبادلة ومنظمة، بحيث يشكل تألفها وحدة كلية ومنسجمة تتجاوز في خصائصها مجرد مجموع أجزائها البسيطة وهذا يقوم على ركيصي النظام والتكامل، مما يحول الشتات إلى بنية محكمة تخضع لمنطق داخلي موحد يضمن توازنها، وقبل الإشارة إلى المفاهيم البنيوية وغيرها نخطط علما أن معنى النسق لغة عند "ابن منظور" >> "نسق النسق من كل شيء: ونسقت الأشياء نسقا ونسقتها: أتبع بعضها بعضا ورتبها، وكلام نسق: على نظام واحد والنسق: كواكب مصطفة خلف الثريا، والثغر النسق: المستوي النبتة، وحروف النسق: هي حروف العطف، لأن الشيء إذا عطف على الشيء جرى مجراه (353 صفحة، 1990، منظور)

ورد أيضا في (معجم مقاييس اللغة) نسق النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض وأصله قولهم ثغر نسق إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية، وخرز نسق منظم ويقال (نسك) النون والسين والكاف أصل صحيح يدل على العبادة والتقرب إلى الله تعالى والذبيحة التي تقترب بها إلى الله نسيكة، والمنسك الموضع يذبح فيه النساء ولا يكون ذلك إلا في القربان ومنه النسلان مشية الذئب إذا أعنق وأسرع >> (فارس، 2007)

فمن خلال هذا التعريف أدركنا أن النسق بوصفه بنية مترابطة تقوم على علاقات داخلية تنظم عناصرها وتمنحها الدلالة والسياق الثقافي المنتج للنسق.

• أما النسق بنيويا:

يفهم النسق بوصفه شبكة من العلاقات الداخلية المنتظمة التي تربط بين عناصر الخطاب، بحيث تكتسب هذه العناصر دلالتها ووظيفتها من موقعها داخل البنية الكلية لا من وجودها الفردي، ومن ذلك جاء البنيويين من أمثال "إديث كرزويل" التي صرحت: النسق هو نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحدا وتفتقرن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها، ويمكن القول إجمالا أن الاهتمام بمفهوم (النسق) راجع إلى تحول بؤرة اهتمام التحليل البنيوي عن مفهوم (الذات) عن المركز (كرزويل، صفحة 415)

ومدلول هذا ما طرحته "إديث كرزويل"، فالنسق هنا يتجاوز كونه مجموعة أجزاء ليصبح موحدا، كما تؤكد لنا أن المعنى ناتج عن انتظام العلاقات والتقابلات لا عن نوايا فردية أو إحالات خارجية.

النسق عند "بني العيد حدد من خلال نظرنا إلى العناصر التي تتكون منها وبها البنية ذلك أن النية ليست مجموع هذه العناصر، بل هي هذه العناصر بما ينهض بينها من علاقات تنتظم في حركة العنصر خارج البنية غيره داخلها، وهو العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنظم العناصر والتي بما تنهض البنية فتنسج نسقها (العيد، في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي، 1974)

هذا المفهوم يبرز النسق بوصفه شبكة من العلاقات المتداخلة التي لا تفهم عناصرها إلا داخل الكل البنيوي الذي تنتمي إليه، وتكمن أهميته في تركيزه على أولوية العلاقات والبنية على العناصر المفردة، بما يجعل المعنى ناتجا عن انتظام النسق لاعن استقلال الأجزاء.

تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان كريمة ترغيني

وفي مفهوم آخر للنسق عند "نعمان بوقرة" يقول هو ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاما معيناً يمكن من ملاحظته وكشفه، كأن نقول: إن لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها، أو أن هذه العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتألف وفق نسق خاص بها. (بوقرة، 2009، صفحة 140)

فالنسق هنا هو تصور على فهم الظواهر بوصفها نظاماً متكاملًا لا أجزاء منفصلة لا يمكن فهم كل عنصر بمعزل عن باقي العناصر.

وانطلاقاً من تم عرضه يظهر أن النسق كظاهرة تفهم ككل منظم يتكون من عناصر مترابطة، بحيث لا يمكن دراسة كل عنصر بمعزل عن باقي العناصر، ويركز النسق بنيويًا على العلاقات الداخلية بين هذه العناصر أكثر من تركيزه على خصائصه الفردية، لأن المعنى ينتج من شبكة العلاقات داخل النسق، وبالتالي النسق يتميز بالانسجام والتكامل.

أما النسق دلاليًا :

يقصد بالنسق دلاليًا ذلك النظام من العلاقات المعنوية التي تنتظم داخل النص، حيث تتفاعل الألفاظ والتراكيب لتنتج دلالات متماسكة ومترابطة، ويسهم في الكشف عن المعاني العميقة للنص ومن هذا المنطلق ظهر عدد من الدالين من بينهم "عبد الله الغدامي" معرفًا النسق بأنه كلمة تجري كثيرًا في الخطاب العام والخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط وقد تأتي مرادفة لمعنى (البنية/STRUCTURE) أو معنى (النظام/SYSTEM) حسب مصطلح ديسوسير واجتهد الباحثون العرب في تصميم مفهومها الخاص للنسق. (الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية الغربية، 2005، صفحة 77)

ويصرح آخر أمثال الكاتبة "هبة محمد صكبان" في مجلة جامع بابل للعلوم الإنسانية النسق هو نظام ينطوي على استقلال ذاتي يشكل كلا موحدًا، وتقرن كلبته بألية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها"، كما يعرف النص بأنه نسق من العلاقات الباطنة المدركة وفقًا لمبدأ الأولوية المطلقة لكل على الأجزاء الداخلية والانتظام الذاتي. (صكبان، 2015، صفحة 1796)

يتضح من التعريفين السابقين أن النسق يقوم على مبدأ التنظيم والانتظام؛ حيث تتحدد دلالة العناصر من خلال علاقتها المتبادلة داخل بنية واحدة وظيفتها داخل السياق العام.

أما النسق عند "عبد الرزاق الداوي" حصر مفهوم النسق عند "ميشال فوكو" هو مجموعة من العلاقات تستمر وتتحول في استقلال عن الأشياء التي تربط بينها (...)، وهو بمثابة بنية نظرية كبرى تهيمن في كل عنصر على الكيفية التي يحي عليها البشر وعليها يفكرون. (الداوي، 2000، صفحة 132)

يوضح الناقد انطلاقًا من تصور "ميشال فوكو" أن النسق ليس مجرد تجميع للأشياء، بل هو شبكة من العلاقات المستقلة عنها تتغير وتستمر عبر الزمن، وتتحكم في طرق عيش الأفراد وأساليب تفكيرهم داخل المجتمع.

ومنه إن النسق دلاليًا، ليس مجرد تجميع عشوائي للعناصر، بل هو (نظام متكامل) يحكمه منطق داخلي، حيث تكتسب فيه المفردات أو الأشياء قيمتها من خلال (علاقاتها المتبادلة) داخل البنية ككل وليس بشكل منعزل.

تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان كريمة ترغيني

• فلسفيا:

بعد النسق الفكري والفلسفي تنظيم مترابط الأفكار أو العناصر التي تنتظم وفق علاقات داخلية تحكمها قوانين محددة ، وقد استخدم هذا المفهوم مجموعة من الفلاسفة لفهم كيفية بناء المعرفة وتفسير الظواهر وهنا ارتبط النسق بالفكر الفلسفي الذي يسعى لتفسير الوجود والمعرفة. فمفهوم النسق عند "أرمان وميشال ماتلار يتمفصل "مفهوم النسق في هذا الطرح حول النموذج الشكلي لشانون، الذي يقنن عملية الاتصال ضمن بنية رياضية خطية صارمة ، ومن العناصر المكونة التي تقوم على ترابط ميكانيكي بين خمسة عناصر هي : المصدر(المعلومة) ، المشفر(المرسل) ، القناة، مفكك الشفرة (المتلقي) ، والوجهة ؛ فآلية العمل يشتغل النسق من خلال " تحويل الرسالة إلى إشارات قابلة للإرسال "، عبر القناة ثم إعادة بنائها لدى المتلقي، فمن خصائص النسق كونه نظاما عاما للاتصال ويركز الكفاءة التقنية وتقليل "التشويش" لضمان وصول الرسالة بأقل التكاليف، فحدود النسق لا تأخذ بعين الاعتبار دلالات وإشارات أو المعنى والنية بل يتعامل مع الاتصال كعملية آلية تقع بين نقطتي بداية ونهاية. (ماتلار، 2005، صفحة 71)

من خلال هذا التعريف، يتضح لنا أن النسق بنية خطية ميكانيكية تحصر سيرورة التواصل في الكفاءة التقنية لنقل الإشارات بين طرفين مع إبعاد سياقات المعنى والدلالة، وبحسب "فريدريك نيتشه" يقول هؤلاء: ابتكروا في الواقع الأنساق الكبرى للتفكير الفلسفي. (نيتشه، 1973، صفحة 41)

النسق هنا بناء على التعريفين السابقين يتميز بالانتقال الجوهرى من الفكر المشتت إلى التنظيم المنهجي، فهو يمثل احتواء الواقع. انطلاقا من الجانب الفلسفي، يتضح أن النسق ليس مجرد تجميع لأفكار متفرقة، بل هو بناء فكري منظم يقوم على الترابط والتكامل بين عناصره، كما يعكس النسق رؤية شاملة للوجود والمعرفة.

2.1 الهيمنة الفكرية والأيدولوجية

تتجلى الهيمنة الفكرية في رواية «الجساسة» من خلال حضور خطابات تسعى إلى توجيه الوعي والتحكم في طريقة إدراك حيثيات للواقع، فبعض القوى الفاعلة داخل النص تمتلك سلطة معرفية تجعلها قادرة على إنتاج الأفكار وترويجها باعتبارها حقائق مطلقة، الأمر الذي يؤدي إلى تشكيل أنماط معينة من التفكير والسلوك، وتبرز الرواية كيف تتحول المعرفة إلى أداة للسيطرة وإعادة إنتاج الهيمنة، بما يكشف عن العلاقة الوثيقة بين السلطة والخطاب

تُعد الهيمنة الفكرية والأيدولوجية من أبرز المفاهيم التي تناولها النقد الثقافي والدراسات الثقافية، إذ تشير إلى قدرة فئة أو سلطة معينة على فرض رؤيتها للعالم وقيمها ومعتقداتها على الآخرين، بحيث تبدو هذه الرؤية طبيعية ومقبولة لدى الأفراد والجماعات، وقد ارتبط هذا المفهوم بمفكرين بارزين، وفي مقدمتهم الفيلسوف الإيطالي أنطونيو غرامشي **ondonio gramsci** الذي رأى أن الهيمنة لا تتحقق بالقوة المادية وحدها، بل من خلال السيطرة على الوعي وإنتاج القبول الاجتماعي بالقيم والأفكار السائدة. (Gramsci, 1971)

تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان كريمة ترغيني

أما السياق الأدبي تسهم الرواية في الكشف عن أشكال الهيمنة الفكرية والأيدولوجية عبر تمثيل الخطابات المتصارعة داخل المجتمع، وإبراز الكيفية التي تُمارَس بها السلطة من خلال اللغة والمعرفة والرموز الثقافية، فالنص الأدبي لا يعكس الواقع فحسب، بل يكشف كذلك عن الأنساق الثقافية المضمرة التي تتحكم في تشكيل الوعي الجمعي وتوجيه السلوك الإنساني (العبد، في معرفة النص، 2010)

وتتجلى الهيمنة الفكرية في رواية الجساسة لأحمد حمدان من خلال حضور خطابات تسعى إلى توجيه الفواعل والتأثير في تصوراتها للواقع، فالرواية تقوم على بناء عالم تتداخل فيه الحقائق مع التأويلات، مما يجعل بعض القوى الفاعلة تمتلك سلطة معرفية قادرة على تشكيل الوعي وتوجيهه وفق رؤى محددة، ويظهر ذلك من خلال سيطرة بعض الأفكار والمعتقدات التي تُقدّم بوصفها حقائق نهائية، الأمر الذي يدفع الفاعل إلى تبني مواقف معينة أو الخضوع لتصورات مسبقة دون مساءلتها.

كما تكشف الرواية عن العلاقة الوثيقة بين المعرفة والسلطة؛ فكلما امتلكت جهة ما القدرة على إنتاج المعرفة أو احتكارها ازدادت قدرتها على فرض نفوذها الفكري، ويبرز هذا المعطى في العديد من الخطابات التي تُظهر تأثير الخطاب المهيمن في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، وهو ما يجعل الهيمنة الأيدولوجية تتجاوز حدود الإكراه المباشر لتصبح جزءاً من البنية الثقافية التي تتحكم في إدراك الشخصيات للأحداث والوقائع.

ومنه فإن هذه التمثيلات تكشف عن نسق مضمّر يقوم على إنتاج القبول والخضوع من خلال الإقناع الرمزي أكثر من اعتماده على القوة المباشرة، وبذلك تنجح الرواية في تقديم صورة نقدية لآليات الهيمنة الفكرية التي تعمل على إعادة إنتاج السلطة داخل المجتمع، وتدعو القارئ إلى مساءلة الخطابات السائدة والكشف عن الأبعاد الأيدولوجية الكامنة خلفها (A, 1971).

كما تتجسد الهيمنة الفكرية في الرواية من خلال فرض تصورات وأحكام مسبقة، إذ يُنظر إلى "عاصف" بوصفه فاعل غير جدير بالحكم بسبب أصوله المختلطة (الجن والإنس)، وهو ما يعكس سلطة الفكر الجمعي وسيطرة الأيدولوجيا السائدة على الوعي.

من خلال ما ورد في رواية الجساسة نطرح الشاهد في قوله: 'بدأ حينها عدم القبول واضحاً على وجوههم ليس فقط لأنه اختار للعرش صبيّا متهوراً لم يتجاوز عامه العشرين بل لأنهم كانوا يعتقدون بشأن "عاصف" أنه ذو دماء ملوثة، فهو ليس جنياً نقياً مثلهم بل مخلوق هجين' (حمدان أ.، 2022) كما يظهر هذا النسق في معارضة الجنية سندس لتولي عاصف الحكم: 'لقد أصيب جبار بالخرف في لحظات حياته الأخيرة ولم يكن في كامل وعيه وهو يوصي بولاية العهد لحفيده الهجين، لذلك فإنني أطالب بعزله عن الحكم وتنصيب حاكم آخر غيره' (حمدان أ.، الجساسة، 2022) يدل ذلك على هيمنة خطاب النقاء العرقي ورفض الآخر المختلف يدل هذا الموقف على هيمنة خطاب النقاء العرقي الذي يقسم المجتمع إلى فئات متفاضلة على أساس الأصل والدم، ويمنح الشرعية لفئة معينة مقابل إقصاء الفئات الأخرى، فرفض عاصف لا يرتبط بقدراته أو كفاءته في الحكم، وإنما بانتمائه إلى أصل مختلط يجعله مختلفاً عن الجماعة المهيمنة، ويكشف هذا التصور عن انتشار أفكار التعصب والتمييز التي تجعل الاختلاف سبباً للنبد والاستبعاد، مما يحول الهوية إلى أداة للهيمنة والسيطرة، ومن ثمّ يفضح النص آليات الإقصاء التي تمارسها السلطة الرمزية ضد الآخر المختلف، ويكشف كيف يُستعمل الانتماء العرقي وسيلة لتبرير الحرمان من الحقوق السياسية والاجتماعية.

2.2 الهيمنة الاجتماعية والرمزية

لا تقتصر الهيمنة في الرواية على الجانب الفكري فحسب، بل تمتد إلى المجال الاجتماعي والرمزي، حيث تظهر من خلال العلاقات غير المتكافئة بين الأفراد والجماعات، وتكشف الرواية عن وجود قوى تمتلك النفوذ والقدرة على فرض رؤيتها على الآخرين، سواء عبر المكانة الاجتماعية أو من خلال الرموز الثقافية التي تمنحها شرعية معينة، وتسهم هذه المظاهر في تكريس التفاوت وإدامة البنى السلطوية داخل المجتمع الروائي لا تقتصر الهيمنة في الرواية على الجانب الفكري فحسب، بل تمتد إلى المجال الاجتماعي والرمزي، حيث تظهر من خلال العلاقات غير المتكافئة بين الأفراد والجماعات، وتكشف الرواية عن وجود قوى تمتلك النفوذ والقدرة على فرض رؤيتها على الآخرين، سواء عبر المكانة الاجتماعية أو من خلال الرموز الثقافية التي تمنحها شرعية معينة، وتسهم هذه المظاهر في تكريس التفاوت وإدامة البنى السلطوية داخل المجتمع الروائي (dieu.p, 1991)

تتمثل الهيمنة الاجتماعية في احتكار السلطة السياسية من قبل فئة معينة، ومحاولة إخضاع الآخرين من خلال المكانة الاجتماعية والرموز السلطوية ويتجلى ذلك في استغلال الملكة "سراي" لموقعها الاجتماعي لإجبار العرافة على تنفيذ أوامرها، إني الملكة وأنا أمرك بفعل ذلك: كما تتجسد الهيمنة الرمزية في اعتبار الملك مركز السلطة ومصدر الشرعية، حيث يرتبط مصير المملكة بشخصه: أنت الملك، وسقوطك يعني سقوط أبابيل' (حمدان ١، 2022) فشخصية الملك هنا تتحول إلى رمز للسلطة المركزية التي تدور حولها بقية محركات الرواية

3. آليات الهيمنة ودلالاتها الثقافية

تعتمد الهيمنة في رواية الجساسة على مجموعة من الآليات التي تضمن استمرار السلطة وإعادة إنتاجها، ولا تقتصر على القوة المادية، بل تمتد إلى الممارسات الفكرية والاجتماعية والرمزية التي تجعل الخضوع يبدو أمراً مشروعاً وطبيعياً

3.1 آليات إنتاج الهيمنة وتكريسها

تعتمد الهيمنة في الرواية على مجموعة من تقنيات التي تضمن استمرارها، من بينها إنتاج الخطاب الموجّه، وتوظيف الخوف، والتحكم في مصادر المعرفة، وإعادة تشكيل الوعي الجمعي، وتُظهر الرواية أن السلطة لا تُمارس دائماً بصورة مباشرة، بل قد تتخذ أشكالاً خفية تجعل الأفراد يقبلون بالخضوع لها دون مقاومة واضحة، ويبرز هنا دور الثقافة في إضفاء المشروعية على أنماط الهيمنة المختلفة، تعتمد الهيمنة في الرواية على مجموعة من الآليات التي تضمن استمرارها، من بينها إنتاج الخطاب الموجّه، وتوظيف الخوف، والتحكم في مصادر المعرفة، وإعادة تشكيل الوعي الجمعي، وتُظهر الرواية أن السلطة لا تُمارس دائماً بصورة مباشرة، بل قد تتخذ أشكالاً خفية تجعل الأفراد يقبلون بالخضوع لها دون مقاومة واضحة، ويبرز هنا دور الثقافة في إضفاء المشروعية على أنماط الهيمنة المختلفة.

وتنسجم هذه الرؤية مع ما ذهب إليه أنطونيو غرامشي Antonio gramsci في تصوره للهيمنة الثقافية، إذ رأى أن الطبقات المهيمنة لا تفرض سلطتها بالقوة وحدها، بل من خلال إنتاج منظومة من القيم والأفكار التي تبدو طبيعية ومقبولة لدى أفراد المجتمع، مما يضمن استمرارية النفوذ وإعادة إنتاجه، كما تؤكد هذه الآليات أن السلطة تتغلغل في تفاصيل الحياة اليومية عبر الخطاب والمعرفة والمؤسسات الثقافية، فتتحوّل الهيمنة إلى ممارسة رمزية تؤثر في تشكيل الوعي الفردي والجماعي (1971-1972، m).

تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان كريمة ترغيني

- اعتمدت القوى الهيمنة في الرواية على عدة آليات لترسيخ نفوذها، من أهمها:

أ- الإقصاء والتمييز

يكشف هذا القول عن حضور هيمنة فكرية وإيديولوجية قائمة على التمييز العرقي والثقافي، إذ لا يُرفض عاصف بسبب عجزه عن القيادة أو نقص كفاءته، وإنما بسبب أصله المختلط الذي يجمع بين الجن والإنس، ويعكس وصفه بـ 'ذي الدماء الملوثة' (حمدان ١،٠)، الجساسة (تبني الجماعة لخطاب إقصائي يؤمن بنقاء السلالة ويفرض معايير مسبقة للانتماء والشرعية، وبهذا تتحول الأيديولوجيا السائدة إلى أداة للهيمنة، تُستعمل لتبرير استبعاد الآخر وتجريدته من حقه في السلطة، مما يكشف عن صراع بين المركز الذي يحتكر الشرعية والهامش الذي يُنظر إليه بوصفه مختلفًا وغير جدير بالمكانة الاجتماعية والسياسية. كما يبرز هذا الموقف قدرة الخطاب المهيمن على تشكيل وعي الجماعة وتوجيه أحكامها تجاه الأفراد وفق معايير الأصل والانتماء لا وفق معايير الكفاءة والاستحقاق 'كانوا يعتقدون بشأن عاصف أنه ذو دماء ملوثة' (حمدان ١،٠)، الجساسة)

ب- توظيف السلطة والنفوذ

ورد في رواية الجساسة قوله : 'إنني الملكة وأنا آمرك بفعل ذلك' (حمدان ١،٠)، الجساسة) حيث يكشف هذا عن توظيف السلطة والنفوذ بوصفهما أداة من أدوات الهيمنة، حيث تستند الملكة إلى مكانتها السياسية والاجتماعية لفرض إرادتها على الآخرين وإلزامهم بتنفيذ أوامرها، ولا تعتمد في هذا الموقف على الإقناع أو الحوار، بل على ما يمنحه لها منصبها من سلطة رمزية تجعل الطاعة واجبًا مفروضًا، ويبرز النص بذلك طبيعة العلاقة غير المتكافئة بين الحاكم والمحكوم، حيث يُستثمر النفوذ الاجتماعي لإخضاع الآخرين وتقييد حرية الاختيار لديهم. كما يكشف هذا السلوك عن نزعة استبدادية ترى أن المنصب يمنح صاحبه حق التحكم في قرارات الآخرين، مما يجعل السلطة وسيلة لترسيخ الهيمنة وإدامة السيطرة داخل المجتمع الروائي.

ج- التمرد السياسي والمؤامرة

ورد في رواية الجساسة قوله 'فما إن ذاع نبأ تولي عاصف مقاليد الحكم، بدأت ملامح التمرد تتشكل' (حمدان ١،٠)، الجساسة) يكشف هذا المقطع عن إحدى آليات الهيمنة المتمثلة في التمرد السياسي والمؤامرة، حيث لم يتقبل بعض أفراد النخبة الحاكمة قرار تنصيب عاصف ملكًا، فبدأوا في التشكيك بشرعية حكمه والعمل على تقويض سلطته، ويعكس هذا التمرد صراعًا على النفوذ بين القوى المتنافسة داخل المملكة، إذ تسعى الفئات المعارضة إلى استعادة مواقعها المهددة أو تحقيق مصالحها الخاصة عبر زعزعة الاستقرار السياسي.

كما يدل هذا السلوك على أن الهيمنة لا تُمارس فقط من خلال السلطة القائمة، بل قد تتجلى أيضًا في محاولات القوى الطامحة إلى السلطة لإعادة تشكيل موازين القوة لصالحها، ومن ثمّ يكشف النص عن صراع خفي بين المركز الذي يمثله عاصف بوصفه الملك الشرعي، والهامش المعارض الذي يسعى إلى الانتقال من موقع التبعية إلى موقع السيطرة والهيمنة.

د- العنف والقوة العسكرية

ورد في الرواية قوله: 'نحن لا نواجه جيشاً منظماً بل نواجه مجموعة كبيرة من عصابات الإنس والجن' (حمدان ١، الجساسة) يكشف هذا المقطع عن اعتماد العنف والقوة العسكرية بوصفهما وسيلة لفرض الهيمنة والاستيلاء على السلطة، حيث تواجه المملكة قوى متمردة لا تستند إلى الشرعية السياسية بقدر ما تعتمد على القوة المسلحة لتحقيق أهدافها، ويبرز وصف هذه الجماعات بـ«العصابات» طبيعتها الخارجة عن النظام القائم، وسعيها إلى تقويض السلطة الشرعية عبر استخدام العنف والفوضى، كما يعكس النص أن التناحر في الرواية لا يقوم على الحوار أو التنافس المشروع، وإنما على منطق القوة الذي يجعل السيطرة العسكرية أداة أساسية لإعادة توزيع النفوذ داخل المملكة. ومن ثم تتجلى الهيمنة هنا في صورتها المباشرة والقسرية، حيث يُستعمل السلاح لإخضاع الخصوم وفرض إرادة الطرف الأقوى، مما يكشف عن طبيعة التقاتل الحاد بين المركز الحاكم والقوى الساعية إلى انتزاع السلطة منه.

2.3 المقاومة وكشف النسق المهيمن

إلى جانب مظاهر الهيمنة، تكشف الرواية عن أشكال متعددة من المقاومة التي تمارسها بعض الشخصيات في مواجهة السلطة المهيمنة، وتتمثل هذه المقاومة في رفض الخضوع، والسعي إلى امتلاك الوعي، ومساءلة الخطابات السائدة ومن خلال هذه المواقف ينجح النص في فضح الأنساق الثقافية المضمرة والكشف عن تناقضاتها، مؤكداً أن الهيمنة ليست قدرًا ثابتًا، بل بنية قابلة للتفكيك والمراجعة والنقد.

إلى جانب مظاهر الهيمنة، تكشف الرواية عن أشكال متعددة من المقاومة التي تمارسها بعض الشخصيات في مواجهة السلطة المهيمنة، وتتمثل هذه المقاومة في رفض الخضوع، والسعي إلى امتلاك الوعي، ومساءلة الخطابات السائدة. ومن خلال هذه المواقف ينجح النص في فضح الأنساق الثقافية المضمرة والكشف عن تناقضاتها، مؤكداً أن الهيمنة ليست قدرًا ثابتًا، بل بنية قابلة للتفكيك والمراجعة والنقد. ويُعد هذا الطرح من المراكز الأساسية للنقد الثقافي الذي ينظر إلى النص الأدبي بوصفه مجالاً للصراع بين قوى الهيمنة وقوى المقاومة، حيث تسعى الشخصيات أو الأصوات المهمشة إلى زعزعة المسلمات الثقافية وكشف آليات السيطرة التي تبدو طبيعية أو مشروعة. ومن ثم فإن المقاومة لا تقتصر على المواجهة المباشرة، بل تتجسد أيضًا في إنتاج وعي نقدي قادر على مساءلة الخطابات المهيمنة وإعادة النظر في القيم التي تكرسها (الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية، 2000)

ومن أبرز صور المقاومة:

تكشف هذه الشواهد عن حضور المقاومة بوصفها فعلًا مضادًا للهيمنة، إذ ترفض بعض الفواعل الاستسلام للسلطة أو للظروف المفروضة عليها. ففي قول الراوي: 'ومع أن احتمال النجاة ضئيل جدا إلا أنه رأى أن يستحق المجازفة بحياته' (حمدان ١، الجساسة)

تتجلى مقاومة عاصف من خلال استعداده للتضحية ومواجهة المخاطر دفاعًا عن قضيته، مما يعكس إرادة قوية في مواجهة القوى الساعية إلى إقصائه وإسقاط شرعيته، فالمجازفة هنا ليست مجرد فعل فردي، بل تعبير عن رفض الخضوع لمنطق الهيمنة والاستسلام.

تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان كريمة ترغيني

ويتعزز هذا الموقف في قوله: 'ولكنه اختار أن يكون شجاعاً ويموت مرة واحدة' (حمدان ١، الجساسة) إذ يبرز النص تمسك عاصف بحقه في الحكم وإصراره على الدفاع عن شرعيته مهما كانت النتائج، فالشجاعة هنا تمثل موقفًا مقاومًا في مواجهة الخوف والضغط التي تمارسها القوى المهيمنة، كما تكشف العبارة عن انتصار الإرادة الحرة على محاولات الإخضاع والترهيب.

أما في موقف العرافة سربيل: 'أقصد أني لا أفعل شيئاً لست مقتنعة به' (حمدان ١، الجساسة) فتتجلى المقاومة الفكرية والرمزية من خلال رفضها الانصياع لأوامر الملكة لمجرد امتلاكها السلطة. ويكشف هذا الموقف عن استقلالية الوعي ورفض الخضوع الأعمى للنفوذ السياسي، مما يجعل سربيل نموذجاً للشخصية القادرة على مساءلة السلطة ومقاومتها.

وتؤكد هذه المواقف مجتمعة أن السلطة في الرواية ليست مطلقة، وأن الفواعل المهمشة أو الواقعة خارج دائرة النفوذ قادرة على مواجهة النسق المهيمن وكشف تناقضاته، ومن ثم تبرز المقاومة باعتبارها قوة مضادة للهيمنة، تسعى إلى الدفاع عن الحرية والشرعية واستقلال الإرادة في مواجهة مختلف أشكال الإقصاء والسيطرة.

ويكشف هذا الموقف أن السلطة ليست مطلقة، وأن الهامش قادر على مواجهة المركز ورفض الخضوع له تكشف رواية الجساسة عن نسق هيمنة قائم على التمييز والإقصاء واحتكار السلطة، حيث تمارس الفئات المهيمنة نفوذها عبر الخطاب والأصل الاجتماعي والمكانة السياسية. غير أن الرواية لا تكتفي بعرض الهيمنة، بل تبرز أيضاً أشكال المقاومة التي تجسدها شخصيات مثل عاصف وسربيل، مما يجعل النص فضاءً لصراع دائم بين المركز المهيمن والهامش الساعي إلى إثبات وجوده وكسر سلطة الخطاب السائد

4. خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى الكشف عن تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان من منظور النقد الثقافي، من خلال تتبع الأنساق المضمرّة التي تتحكم في بناء العلاقات داخل النص الروائي. وقد بينت الدراسة أن الهيمنة لا تقتصر على بعدها السياسي أو المادي، بل تتجلى كذلك في مستويات فكرية واجتماعية ورمزية تسهم في تشكيل وعي الشخصيات وتوجيه سلوكها، كما أظهرت الرواية حضور آليات متنوعة للهيمنة، من بينها إنتاج الخطاب الموجّه، والتحكم في المعرفة، وإضفاء المشروعية الثقافية على السلطة، الأمر الذي يجعل الهيمنة جزءاً من البنية الثقافية التي توطر العالم الروائي.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أبرزها أن رواية الجساسة تكشف عن نسق هيمنة متجذر في العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وأن السلطة فيها لا تُمارس دائماً بصورة مباشرة، بل تتخذ أشكالاً رمزية وثقافية أكثر تأثيراً واستمرارية، كما أظهرت النتائج أن الرواية لا تكتفي برصد مظاهر الهيمنة، بل تقدم في المقابل نماذج للمقاومة تتجسد في الوعي النقدي ورفض الخضوع ومساءلة الخطابات السائدة، وهو ما يسهم في تفكيك الأنساق المهيمنة والكشف عن تناقضاتها.

وانطلاقاً من هذه النتائج، تقترح الدراسة توسيع مجال البحث في الأنساق الثقافية داخل الرواية العربية المعاصرة، وإجراء دراسات مقارنة بين رواية الجساسة وغيرها من الروايات التي تتناول قضايا السلطة والهيمنة، كما توصي بالاستفادة من أدوات النقد الثقافي في قراءة النصوص الأدبية للكشف عن الأبعاد الفكرية والاجتماعية المضمرّة التي قد لا تظهر في القراءات التقليدية، فضلاً عن تشجيع الدراسات التي تربط بين الأدب وتحولات الواقع الثقافي والاجتماعي لفهم آليات إنتاج السلطة ومقاومتها في الخطاب الروائي.

تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان كريمة ترغيني

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أبرزها أن رواية الجساسة تكشف عن نسق هيمنة متجذر في العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وأن السلطة فيها لا تُمارس دائماً بصورة مباشرة، بل تتخذ أشكالاً رمزية وثقافية أكثر تأثيراً واستمرارية. كما أظهرت النتائج أن الرواية لا تكتفي برصد مظاهر الهيمنة، بل تقدم في المقابل نماذج للمقاومة تتجسد في الوعي النقدي ورفض الخضوع ومساءلة الخطابات السائدة، وهو ما يسهم في تفكيك الأنساق المهيمنة والكشف عن تناقضاتها.

كما بينت الدراسة أن الرواية توظف البنية التخيلية وعالم الجن والإنس بوصفهما فضاءً رمزياً لإعادة تمثيل صراعات السلطة والهيمنة في الواقع الإنساني، الأمر الذي يمنح النص أبعاداً ثقافية تتجاوز الحكاية إلى مساءلة القيم والأنساق الاجتماعية السائدة. وأظهرت الدراسة أيضاً أن الشخصيات لا تؤدي أدواراً سردية فحسب، بل تمثل مواقف ثقافية متباينة؛ فبعضها يجسد خطاب الهيمنة والإقصاء، في حين يمثل بعضها الآخر قيم العدالة والحرية والمقاومة، مما يجعل الصراع بين الشخصيات انعكاساً لتناحر الأنساق الثقافية داخل المجتمع كما كشفت النتائج أن الخطاب الروائي يربط بين السلطة والمعرفة، إذ تتحول المعرفة إلى وسيلة لإضفاء الشرعية على الهيمنة أو لمقاومتها، وهو ما يؤكد أن الصراع في الرواية ليس صراعاً عسكرياً أو سياسياً فقط، بل هو تقابل حول إنتاج الوعي وتوجيهه.

وتوصلت الدراسة كذلك إلى أن الرواية تنتقد المعايير التي تقوم على التمييز العرقي والاجتماعي، وتدعو ضمناً إلى ترسيخ قيم الكفاءة والعدالة والمساواة بدلاً من الامتياز القائم على الأصل أو الانتماء، وهو ما يمنحها بعداً إنسانياً وثقافياً يتجاوز حدود العالم المتخيل.

وأخيراً، أثبتت الدراسة فاعلية النقد الثقافي في الكشف عن الأنساق المضمرّة التي لم تكن لتظهر بوضوح في ظل المناهج النقدية التقليدية، إذ أتاح هذا المنهج قراءة أعمق للعلاقات السلطوية وآليات إنتاج الهيمنة والمقاومة داخل الخطاب الروائي.

تمظهرات نسق الهيمنة في رواية الجساسة لأحمد حمدان كريمة ترغيني

5. قائمة المراجع:

Références

- m, f. (1972-1971). *know ledge selected interviews and other writings* . panthon books.
- A, G. (1971). *SELECTIONS FROM THE PRISON NOTEBOOKS*. NEW YORK: INTERNATIONAL PUBLISHERS.
- dieu.p, b. (1991). *language and symbolic power*. harvard unvirsiy press.
- احمد ال حمدان. (2022). *الجساسة*. دار النشر والتوزيع : دار هلمون .
- أحمد آل حمدان. (2022). *الجساسة* . دار النشر والتوزيع هلمون.
- احمد الحمدان. (بلا تاريخ). *الجساسة*.
- العيد، ي. (1974). *في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي*. بيروت : منشورات دار الأفاق الجديدة.
- العيد، ي. (2010). *في معرفة النص*. بيروت : دار الآداب .
- الغذامي، ع. ا. (2000). *النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية*. الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي.
- الغذامي، ع. ا. (2005). *النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية الغربية*. لبنان : المركز الثقافي العربي.
- بوقرة، ن. (2009). *المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب*. الاردن : جدار الكتاب العالمي.
- حمدان، ا. (2022). *الجساسة*. دار التوزيع والنشر هلمون.
- حمدان، ا. ا. (s.d.). *الجساسة* .
- حمدان، ا. ا. (s.d.). *الجساسة* .
- حمدان، ا. ا. (s.d.). *الجساسة* .
- حمدان، ا. ا. (s.d.). *الجساسة* .
- حمدان، ا. ا. (s.d.). *الجساسة* .
- حمدان، ا. ا. (s.d.). *الجساسة* .
- حمدان، ا. ا. (s.d.). *الجساسة* .
- حمدان، ا. ا. (s.d.). *الجساسة* .
- صكبان، ه. م. (2015). *الانساق الثقافية في ادب الرفادين*. جامع بابل للعلوم الانسانية : العدد . 4
- عبد الرزاق الداوي. (2000). *صوت الأنساق في الخطاب الفلسفي المعاصر*. بيروت: دار القليعة.
- فارس، ب. (2007). *معجم مقاييس اللغة*. بيروت دار الفكر : بيروت .
- كرزويل، ا. (s.d.). *عصر النبوية*. الكويت : دار سعادة الصباح.
- ماتلار، ا. و. (2005). *تاريخ نظريات الاتصال*. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية.
- منظور، ا. (1990). *لسان العرب*. بيروت : دار صادر.
- نيتشه، ف. (1973). *الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي*. بيروت : المؤسسة الجامعية للداراسات والنشر.